

ألفا محمن بن مبارك وجهوده في خدمة المخطوطات العجمية بتمبكتو¹

RESUME

Le Shaykh Alpha Mohamad a beaucoup œuvré au service de l'écriture arabe, particulièrement, à celui de l'écriture de la langue songhaï en lettre arabe ; il nous laissa beaucoup d'œuvres. Nous nous sommes basés, dans ce travail, sur deux de ses manuscrits dont le premier : est enregistré sous le N° 5605 de l'Institut Ahmad Baba de Tombouctou. Il est un peu ancien, et nous ignorons la date de sa rédaction ; le deuxième : nous l'avons trouvé dans la famille du Shaykh à Diré, il fut rédigé en date du 25 septembre 2004. Nous l'avons intitulé : l'avertissement de soi de suivre le caprice. Il est à noter que chacun de ces deux manuscrits sont composés de 86 verres.

Le manuscrit traite le thème du sufisme et regorge un nombre de conseils. L'élogieux du Messenger (PSL), s'est-il fait appeler, commença sa poésie en s'adressant à soi-même de ne pas commettre la fraude, l'amusement inutile, la vantardise ; de ne pas pratiquer le libertinage, l'abomination, l'espionnage chez les gens, la divulgation des informations par quelque moyen que ce soit, le regard des femmes d'autrui et de se régaler de leur parler etc. de même, il invitait à s'éloigner de la fornication et de tous les péchés.

Le chercheur a cerné les traits caractéristiques du sufisme dans le manuscrit ; en partant des termes évoqués du sufisme et de suite de l'analyse phonétique ; jusqu'à ce qu'il atteint ce résultat dont la teneur est : que le Shaykh commença par les phonèmes ordinaires de l'Arabe et lorsqu'il s'aperçut que qu'il y a d'autres phonèmes que l'Arabe ne connaît pas; il inventa des phonèmes calqués sur ceux existants de l'Arabe, en procédant à une réforme harmonisée afin de les rendre conforme avec la langue songhaï. Quant au lexique, il utilisa la langue songhaï dans sa généralité, en se basant sur le dialecte de Tombouctou, car il fut le dialecte répandu de son milieu ; d'autre part, il utilisa d'autres mots répandus qui n'étaient du dialecte de Tombouctou, mais qui seraient utilisés aux alentours de Diré. Il est à observer qu'il emprunta une quantité de mots de l'Arabe. Et s'il s'agissait du mètre de la poésie, il fit son possible à imiter Al-khalil dans sa méthode verticale ; malgré cela, il fut approuvé dans la forme.

¹ - د. إسماعيل زنگو برزي - د. محمد الأمين هلاسي - د. عبد الله درامي؛ أستاذة من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة باماكو - مالي

الأبجدية العربية وغرب أفريقيا

إن الإسلام دخل في فترة متقدمة جدا في غرب أفريقيا وخاصة مالي، وعليه؛ فإن هذا الدين الحنيف بمعناه الواسع نجد له آثارا حية على هذا الشعب سواء على الحياة الدينية أو الثقافية أو الاجتماعية، ذلك أن " الآثار التي اكتشفت في غرب القارة من الفؤوس والتمائيل المنحوتة والمصنوعة على طريقة الفراعنة، التي لا تزال حتى أيامنا هذه فنا من فنون زخرفة المساكن والفنادق في غرب أفريقيا"²

أدعم ما ذهب إليه الدكتور بالنظر - فعلا - إلى هذه التماثيل والأصنام، وقد عمدت إلى النظر إليها عمقا من حيث الشكل، فوجدتها لا تبعد كثيرا عمّا يتداول في المصادر القديمة عن الخط الهيروغليفي؛ انظر مثلا إلى نماذج من التماثيل في الجنوب ومنتصف الشمال بمالي، ستلقى ثمة مقارنة إذا لم نقل مماثلة بينها وبين الهيروغليفية³ وهذا التشابه يوصنا إلى نتيجة أخرى لم تذكر حسب علمي؛ ذلك إذا تعلققت المسألة بالأبجديات الأفريقية المختلفة من شرق أفريقيا مروراً بوسطها إلى غربها فإن أنماط الكتابة بين أبناء هذه القارة، تبين لنا هذه العلاقة الجذرية العتيقة بين شعوبها، إذ إنك لا تكاد تجد اختلافا كبيرا بينها، كما سترى نماذج من ذلك في الهامش.

إن الإسلام لقي أذانا صاغية عند كثير من الأمم منذ قرون؛ فإن هذه الشعوب - في الواقع - تأثرت بالعربية " يشبه كثيرا تأثير اللغة اللاتينية في لغات أوروبا... وخصوصا لدى المسلمين كافة يقرؤون القرآن الشريف باللغة العربية، فهي لغة الكتابة عند الحاجة في كل بلد اجتمع فيها المسلمون..."⁴

ومن هذه اللغات التي عرفت استعمال الأبجدية العربية في كتابتها، لغات آسيوية لسبقها إلى هذا العمل، ولغات أفريقية أخرى، أوسط وأكثر انتشارا في القارة السمراء، منها: البربرية، النوبية، هوسا، السواحلية، الملجاسية، الحبشية، الولوف... إلخ

وربما " تولد عن الخط المغربي المشتق من الخط الكوفي القديم هذا الخط الجديد الذي انتشر في جميع السودان... فنشأ هناك نوع جديد من الخط سمي بالخط التمبكتي أو السوداني"⁵

² الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، أ.د.أبو بكر إسماعيل ميغا، ص: 1-10، مكتبة التوبة، 1997، المملكة العربية السعودية.

³ -Olivier SHELL et autre, Guide pour l'alphabétisation des langues africaines, N° 34, 1987, Yaounde ; Ursula WIESEMAN et autre, Guide pour le développement des systèmes d'écriture des langues africaines, N°2, 1998, Yaounde ; the alphabet markers.

⁴ -انتشار الخط العربي فب العالم الشرقي و العالم الغربي، عبد الفتاح عبادة، ص: 98، مطبعة هندية، مصر، 1915.

⁵ -نفسه، ص: 78.

2. الأبجدية العربية ولغات مالي

وفي مالي، نجد أن أغلب لغاتها استعملت الأبجدية العربية في كتابة لغاتها؛ التي يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

1. اللغات الأكثر انتشارا: البمنان، الفلانية، الصنغي، السرکولي.

2. اللغات الأقل انتشارا: نذكر منها: بوزو، سينارا (سينافو)، مَمَرا (مِيَانغا)، بومو (بوبو)، كَسُنْكا، مُدِنْغو، دَعُوسُو، تماشيك، الحسانية.

لغة صنغي من اللغات أكثر انتشارا في مالي وتمثل لغة أساسية للتخاطب من وسط مالي إلى أقصى الشمال، ويتحدث بها في كل من تمبكتو، غاوو، كيدال، وجزء من موبتي.

وتتوفر هذه اللغة على عدد لا بأس به من اللهجات أهمها:

لهجة غاوو، وهي اللهجة المعيارية، ينطق بها في غاوو وضواحيها، وكما تعرف لهجات جغرافية أخرى نذكر منها الآتية:

أ- لهجة بامبا B، غابير Gb، لابزانغا L، بورم Bo... الخ في إقليم غاوو.

ب- لهجة همبوري H، جني J، فولان شيريابي Fk، في إقليم موبتي.

هـ- لهجة تمبكتو Tb، ديري D، في إقليم تمبكتو.

وتتميز هذه اللهجات كلها تقريبا بالنهرية riverain، عدا لهجة Fk و H، يبلغ عدد حروفها 27 حرفا، وتنتمي إلى فصيلة النيلية الصحراوية.⁶

ومع ذلك، يصعب تحديد تاريخ كتابة صنغي بالأبجدية العربية ذلك لارتباط هذا شعب مع هذه اللغة كما مر، ومع ذلك يمكن نتكهن بأنها لا نقل عن قرن من الزمن.

⁶- راجع ، قضايا لسانية أفريقية، إسماعيل زنگو برزي ، ص: 34، مطبعة نادي أدب و الثقافة، بماكو، مالي. 2011.

ب - إطار تطبيقي

الإمام محمّن بن المبارك ومخطوطات صنغى

■ ترجمته

هو ألفا محمد (محامان - محمّن) بن المبارك بن المصطفى (طفى) بن ألفا صالح (سالم) بن بودة بن عبد الرحمن بن التركي الإسطنبولي.

ولد ألفا محمّن بن المبارك عام 1295هـ - 1874م بمدينة تمبكتو، وبها تربى وترعرع وتلقى اللبّات الأولى في طلبه للعلم، ثم اتجه في طلب العلم نحو مدينة جني بأمر من والده، ومكث بها عدة سنوات لطلب العلم، وبعد عودته من جني اتصل بالعالم الجليل والزاهد الورع الشيخ سيد عالي بن عمر الأرواني، وهو مفتي مدينة تمبكتو آنذاك.

وقد تأثر ألفا محمد بأخلاق وأفكار الشيخ سيد عالي ووجد فيه ضالته فأخذ عنه الورد التجاني؛ لأنه كان زاهدا ومحبا الفراغ للتعبّد كشأن المتصوفة بصفة عامة.

وكان رحمه الله يكتب نظما فيذم السيئ طالبا الابتعاد والهروب عنه؛ ذاكرا لهم البديل، وهذا الذي عمل في تحويله الحكيم ألعاب المجانين التقليدية المشعوذة، إلى محافل للمدائح النبوية حاول في نظمه تسهيل استيعابها وحفظها؛ لذلك سماه البعض بشاعر النبي كما سمي نفسه بهذا الاسم.

ولقد قام الشيخ برحلات كثيرة في المنطقة في سبيل العلم ونشر هذه القصائد بين الناس كمنطقة شيرفكا وكورنياً وكان الشيخ يتلقى دعوات من الفقهاء وأكابر الناس لأجل علمه ومؤلفاته الأدبية لذا قضى جل عمره في التنقل بين القرى ولم يسكن بديري إلا مؤخرا وعُين إمام لمسجد ديري.

وقد أسس ألفا محمد بن المبارك مكتبة منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي؛ أما عن مؤلفات الشيخ، فقد قصائد كثيرة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي السيرة النبوية، والإصلاح، والوعظ والإرشاد وكلها نُظِم باللغة العربية. أما عن اللغات العجمية فقد نجد له

نظما في المديح بلغة صنغي والفلانية، وترجمة كتب فقهية، وتفسير القرآن؛ وأعانه على ذلك تدريسه لكتب الفقه والتفسير والأدب باللغة العجمية للتلاميذ والأقارب.

توفي ألفا محمد 21 من جمادى الأخيرة عام 1378هـ الموافق 1958م بمدينة ديري عن عمر يناهز 84 سنة، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه.

أما عن سبب استعمال الأبجدية العربية لكتابة لغة صنغي لدى الشيخ، فقد قال - حسب حفيده عثمان سيبي - إنه عمل هذا تأسيا بالفلانيين وخاصة محمد سعاد، الذي قرض نُظْمًا من هذا القبيل في التصوف والمدائح القائمة على الأناشيد المنتشرة في أوساط الفلانيين؛ فاقتدى به الإمام؛ ومن هنا جاءت هذه النظم الهائلة بلغة صنغي.⁷ ونفهم - من هذا - أن الشعب الفلاني من السبّاقة في هذا المجال؛ فتقدمت على كثير من الشعوب في إنشاد مثل هذه المنظومة، ولربّما التقدم حتى في الترقين.

■ النموذج المختار

النموذج المختار رقمه 5605 مركز أحمد بابا للدراسات العليا و البحوث الإسلامية بتمبكت، وهي النسخة "أ" أساسية وقديمة وإن كنا لا نعرف تاريخ كتابتها، أما نسخة "ب" فقد وجدناها من أسرة الشيخ في ديري، كتبت بتاريخ 25 سبتمبر 2004 . وعنوانها هذا المخطوط ب: تحذير النفس من اتباع الهوى.

من الملاحظ أن كلا النسختين تحتضن 86 بيتا، إلا أن ثمة ملاحظة للفرق بين النسختين يتضح بالطريقة التالية:

- الاختلاف في نظام الكتابة للمخطوطتين، مثل:

وصاب (امدحوا) في نسخة "أ" يتحول إلى (وساب) في نسخة "ب"

يَسَنَ yasan (سيدي) "" (أيسَن) ay san

دَمَ نَكِّي dam nikoy (اعمل عملك) " " (دم نَعِّي) dam nikoy

تِيَابُ تَفَنَّتِي tiyabutefente (الثواب العظيم) " " بَرَا ج تَفَنَّتِي barajitefente

يبدو أن سبب ذلك راجع، إلى الفروق اللهجية على مستوى البنية الواحدة أو إلى الترادف بين مختلف اللهجات.

- إذا كانت عدد الأبيات نفسها فإن ثمة تقديم وتأخير بين أبيات النسختين كثير.

⁷- لقاء فريق البحث مع عثمان سيبي وعمر سيبي المكلفين بإدارة مكتبة ألفا محمد مبارك في ديري بتاريخ 08/25/2015 ضحى.

تحليل النص:

- ملامح التصوف

لا حظنا من خلال هذه النماذج أنها مليئة بعقيدة التصوف؛ وذلك لاكتشافها بعض عوالم الغيبي، لأن مثل هذه المشاهدات تزيد في يقين المؤمن، وهذا لاشك أنها تؤكد لصدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، نذكر منها:

Addunyaa takandi n'gasaabira

س ض ف.م س

سبب ه خُلق الدنيا

خلق الدنيا لسببه (ص)

Waliyu huraw di ga hurmase

أد س أد ف س

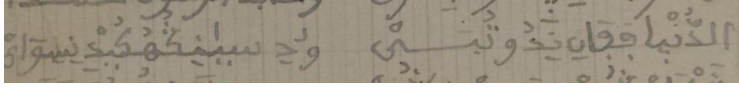
له حرمة ي ملكية دخل الولي

المعنى: دخل (ت) الولي (الأولياء) في حرمة وشفاعته

التحليل الصوتي:

استعمل المخطوط الأصوات العربية المتداولة، عدا الأصوات الثلاثة التالية:

1. ڱ = g: صوتا للڱين الحنكي المُمال، يلاحظ أنه كثيرٌ في النص، مثل: **ni go**
dira



Addunya fafaa ni, ni duu tobay

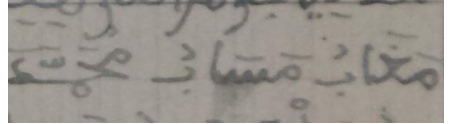
س ف ض ض نع س
 المال تجد أنت أنت غر الدنيا

Wo di se ni go ho Koydi,ni si way

ف نفي ضس فمس أحب ض مس ض أد
 لا أنت الله تعصي لأجل

المعنى: كسبت الكثير من المال، فغرتك الدنيا؛ إذا تعصي ربك، ولا تطيعه.

ويلاحظ في حالة نادرة، يستعمل صوت: غ =g، خلافا لـ ڱ=g، وربما هذا في حالة عدم الإمالة، مثل:



Ma gaabu ma saabu Muḥammadaa,

س ف ف
 محمد محمد دأب

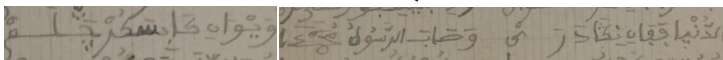
المعنى: ألزم شكر رسول

Addunyya takandi n'gasaabira

س ف ض س
 سبب ه خلق الدنيا

المعنى: خلقت الدنيا لسببه (ص)

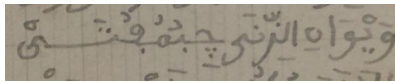
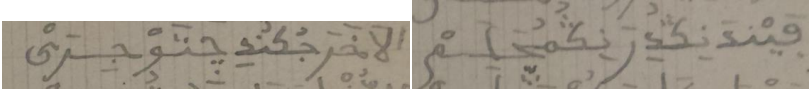
2. چ: للصوت c = تش المركب، الذي أورد له الكثير من الأمثلة، نذكر منها:



Woy waani go bias kur calam

ف ف اللات س س
نظر أيُّ تمر أجنبية إمرة

المعنى: تمد النظر إلى كل امرأة تمر!!

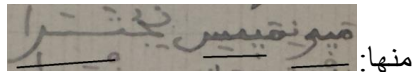


wuy waan a'zzinna ci bomofutey,

صف أ د س س س
شقاوة هي الزنا أجنبية المرأة

المعنى: الزنا مع المرأة الأجنبية شقاوة

3. ب للياء الممالة، أما إذا لم يكن كذلك، فيكتب الياء، والأمثلة على ذلك قليلة نذكر



منها:

Ma yee, ni ma yesi ni jota raa

وربما أصله neesi (تزن)

- الفروق اللهجية في لغات صنغي على مستوى الأصوات :

waaju⁸ T ~ waazu G (الوعظ) ,

go T ~ gaG (ف. كينونية) ,

jerje T ~ zerjeG (الحمل الثقيل)

Awurbaallata T ..awurje G (هدم),hara T~ hala G (حتى) ,

taku T ~ toko G (سقط).

لم أجد هذه كلمة celam في قواميس صنغي، ولكن إيقائيا قريبة إلى الكلمات التالية:

نوع من الجلوس للاستفادة من حرارة النار: cenkam G

⁸- يرمز G إلى لهجة غاو بينما T إلى لهجة تنبكت.

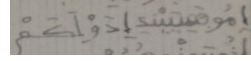
sonkom G: نوع من الجلوس عادة للأكل أو لقضاء الحاجة

G cuku: سكت فلم يجب

Ga tuujit ~ tuuje G, سند

Gay T~gagey G, (نهى)

I moofasiyey T ~ imoofirci, T (سهر، أرق)



I diinu time... itutu ga T~ i na tutubu G, (هدموا)

عقائد الكفار ومعابدهمدموا

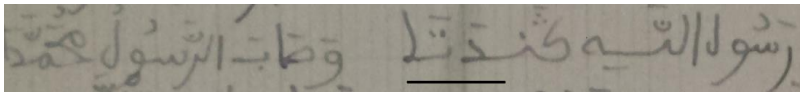
Alaya ... lofa T ~ lafa G: بجنبه

Awurbaallata : هدمه

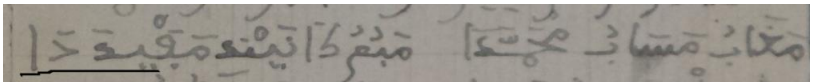
التحليل العروضي:

هل هذه المنظومة منبئية على التفعلة الخليلية معروفة في الثقافة العربية؟

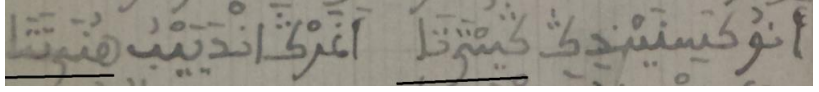
الجواب، أن لمدى تأثير الشيخ بالمصادر العربية القديمة، حاول قدر الإمكان محاكاة الخليل في نهجه العمودي، وقد وُفق في ذلك شكليا في مخطوط "أ" و"ب" الذي يحتضن 86 بيتا في كل منهما؛ إذ جاء بصدر وعجز لكل بيت. ولا يعدو أن يتفنن أحيانا بإضافة مقطع أو أكثر خارج لغة المصدر لخلق توازن وانسجام في الإيقاع الصوتي، والاختلاف يتمظهر في أنه لم يختر صوتا واحدا للتفعلة، وإليك نماذج من إضافة مقطع للإيقاع الصوتي:



أصله: أرض √ Ganda :



أصله، فائدة: √ fayda



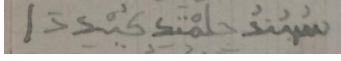
tataa البنية كلها لتكملة الايقاء، و hona/honatat شديد.

الكلمات المقترضة:

: naata I naataba, الطمع، الأمل،

كلمة مشتركة بين عدد من اللغات صنغي وكذا البمنان، وربنا الفلانية أيضا، وقد يجهل، أيها اقترضها من غيرها.

أسكت اللات والعزى، وتستعمل في T وBm : Maku

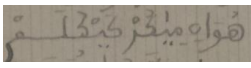
Subundi صير الشفاعة، 

Alhaasiditry saabira D أي لم ينجوا بسبب الحسد:

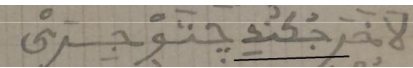
- مفردات خاصة:

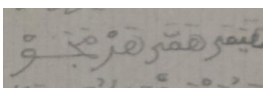
في القصيدة مفردات لا تعرفها لهجة غاو، نذكر منها:

Tall: تكبير، ذهبت حول، 

ka lamlam: تجسس، 

calam : يسرق في النظر، مد النظر :

Jukundi ، العذاب فتنة: 

Hayame : انتبه: 

Addunyaciinira : الحكمة

Ka cilam~ tilam T : يتلأ، ضوء، نور:

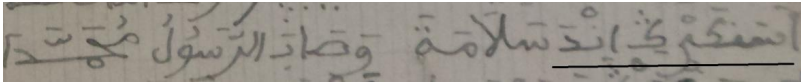
Ka jow T : حمل

A gaga T : تحيّر

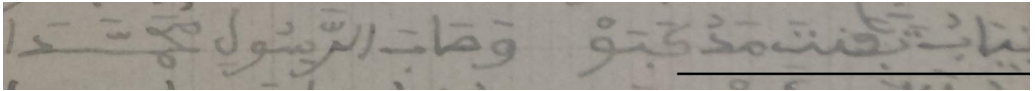
I basuyokondi : أبارهم

San : رسول

Jajubey : الزنا، وقيل ربما هي كلمة أجنبية :

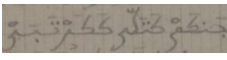


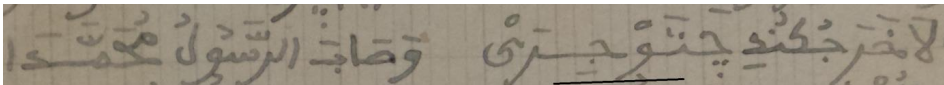
A sankeygin' dasalaamata D~kubeygi~gandeygi~T kubeyga G: استقبلهم



Tiyaabutefente D tiyaabu : عريض: ثواب

أي الثواب الكثير، أما وصف كثرة الثواب بالعريض، فلا تعرفه أغلب لغات صنغي، قال حفيد الشيخ عمر سيسى، إن هذا الاستعمال لم يعد سائدا حتى في ديري.

tobey T : العمامة: 



TawT~nuune G (النار)

الخلاصة

نخلص بعد هذا العرض إلى أن الشيخ ألفا محمد له مجهود جبار في خدمة الخط العربي؛ وخاصة في كتابة لغة صنغي بالحرف العربي؛ إذ خلف لنا مؤلفات كثيرة، وفي هذا البحث

اعتمدنا على مخطوطين، الأول: رقمه 5605 من مركز أحمد بابا تمبكت، وهي قديمة نوعا ما وإن كنا لا نعرف تاريخ كتابتها، والثاني: فقد وجدناه من أسرة الشيخ في ديري، كتبت بتاريخ 25 سبتمبر 2004؛ وعنوان هذا المخطوط ب: تحذير النفس من اتباع الهوى. من الملاحظ أن كلا المخطوطين تحتضن 86 بيتا.

و يتناول المخطوط موضوع التصوف، الذي حمل في طياته عددا من النصائح؛ إذ بدأ مادح الرسول - كما وصف نفسه - الشيخ منظومه بمخاطبة نفسه محذرا إياها من الاحتيال، والمرح، والتفاخر، والخوض في ارتكاب الفسق والمنكر، والتجسس في بيوت الناس، ونقل الأخبار بأية طريقة، والنظر إلى المحرمات من النساء والتلذذ بكلامهن.. إلخ وكما يدعو إلى الابتعاد عن الزنا وكل المحرمات.

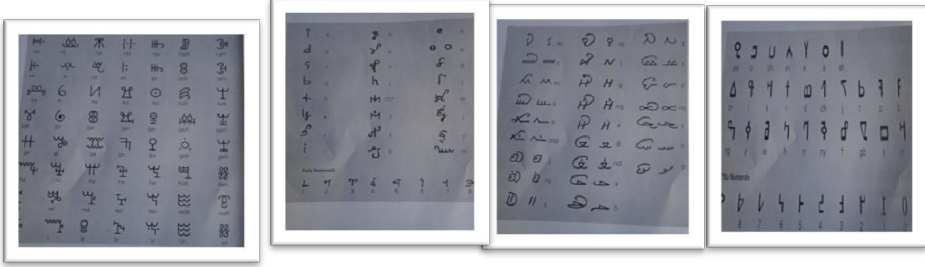
وقد قام الباحث بتحديد ملامح التصوف في المخطوط انطلاقا من المصطلحات الصوفية الواردة، ثم عرج إلى التحليل الصوتي فتوصل إلى نتيجة مفادها أن الشيخ انطلق من الأصوات المعتادة في العربية، فلما رأى أن ثمة أصواتا أخرى لا تعرفها العربية؛ ابتكر أصواتا جديدة من العربية، مع إجراء تحسين طفيف لتنسجم مع لغة صنغي؛ أما عن الجانب المعجم، فقد انتحب لغة صنغي العام، مع الارتكان إلى لهجة تنبكت إذ هي اللهجة السائدة في محيطه، وفي المقابل استعمل كلمات أخرى ليست منتشرة في لهجة تنبكت، وربما تستعمل في حدود ديري؛ مع الملاحظة أنه اقترض مجموعة من الكلمات العربية. وإذا تعلقت المسألة بالتفلة العروضية فقد حاول قدر الإمكان محاكاة الخليل في نهجه العمودي، ومع ذلك فقد وُفق شكليا.

الملاحق

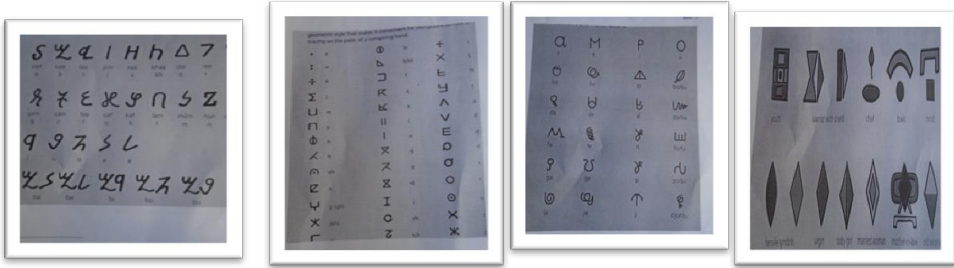
انكو
(سيراليون، ليبيريا)

ولوف، حسن فاي 1961

فاي فولانية آدم باه، مالي



جُوگا، غِيَّان الفرنسية، أفاكا 1910 الأمازيغية (تماشيك) قبل الإسلام الصومالية، كيناديد 1922 بانټو (السواحلية)



وثيقة ولاية الشيخ مقتطف من المخطوط من الصوت إلى المعني في "ع" أبجدية مصرية قديمة

